أنا وأمّي

محمد غازي مرعي

ولدت قبل 38 عاماً في قرية فلسطينية كرمية اسمها زيتا شمال مدينة طولكرم، لا تبعد سوى 11كم عن المدينة ... ولا يفصلها سوى شارع رئيسي عرضه 12 متراً عن أراضي الـ 48 «جت وباقة الغربية».

أمي لاجئة من قرية الفرادیس قضاء حيفا، وأبي زيتاوي الأصل. شاءت الأقدار أن يموت أبي وهو في ريعان شبابة وهو يصارع المرض والإهمال الطبي في مستشفياتنا. كان عمري حينها سنتين، ولي أخ يكبرني بسنة، وأخ يضغرني بسنتين. أمي كان عمرها 28 عاماً عندما ترمّلت وتحملت مسؤولية الأب والأم في آن واحد.

جانب من مشاركة المعلم محمد مرعي في مساق عباءة الخبير.

كان المشوار صعباً جداً ومليئاً بالأشواك ... وعلى الرغم من قساوة الظروف وعتمة الليل، كانت المعاناة شعلة الكفاح لمواجهة الظروف والصعاب. ناضلنا مع أمي التي رفضت الزواج بعد موت أبي إخلاصاً له وحباً وخوفاً علينا من التشرد والضياع، وقد ضحت بريعان شبابها، وأعلنت أن العمل والجد هما هدفها.

تعلمت في روضة المعلمة تفاحة في زاوية آل غضية ... وكانت أياماً حلوة جداً أثبت نفسي وكونت شلتي من هنا.

التحقت بالمرحلة الابتدائية، وفرحت كثيراً بأنني دخلت المدرسة الحكومية كباقي الأطفال، على الرغم من أنني كنت أعتقد أن «الأطفال الفقراء لا يدخلون المدارس الكبيرة»، ولكن أصبحت تتكون لدي قناعة بأنني قوي.

أثبت نفسي في دراستي الابتدائية ومع أصحابي، وصارت الحياة تحلو أكثر فأكثر، وبدأ المشوار في حمل الفأس والمنجل مع جدي وأمي وعمتي. وصرت اسرح وأمرح معهم في زراعة الأرض، وقطف الباميا، وأنهيت المرحلة الابتدائية بنجاح وتفوق. انتقلت إلى المرحلة الإعدادية؛ مرحلة إثبات الذات لدي ولدى أسرتي، أصبحت عنيفاً مع الأخرين؛ ليس حباً في الاعتداء على غيري ... ولكن لكي أحمي نفسي وأحمي إخواني وأمي من شر الإنسان. واستطعت أن أفرض ذلك في حارتي وكونت شلتي، وحاربت مع شلتي الفقر والظلم، وكنا لا نحب أولاد الأغنياء في تلك الفترة. في العطل الصيفية، كنا نسرح؛ أي نذهب إلى العمل مع أناس من أقاربنا في قرية جت بالمثلث ... وكنت أنا وأخواني وأمي وشلتي نعمل معاً في المزرعة نفسها.

بدأت المرحلة الثانوية؛ مرحلة صنع الرجال، والتحقنا بالانتفاضة الأولى، وفرحت كثيراً عندما صرت «أتلثم» مع الشباب ... ورائحة الكوفية التي ما زلت احتفظ بها والتي علمتني الرجولة ورفض الذل.

ذهبت لكي أكمل تخصص الأول ثانوي العلمي في بلدة أخرى مجاورة لبلدتي، ولكن بسبب قساوة المحتل، لم أستطع إكمال التخصص العلمي، ورجعت إلى بلدتي ومدرستي الأم مرة أخرى. أنهيت الأول

ثانوي بتفوق، وبدأ العمل التنظيمي يسري في عروقي، ومارست العمل الوطني مع شلتي، وطوردت من الاحتلال الإسرائيلي لمدة ستة شهور، واعتقلت في أول يوم في التوجيهي من العام 1990، وتنقلت بين الزنازين في سجن الفارعة وسجن مجدو، واستقر الحال بي في سجن النقب، لأقضي 24 شهراً بين الأبراش وتحت الخيام وقمع السجان.

ومع توقيع أول اتفاقية سلام مع السلطة، أفرج عني مع الأخرين إلى قضاء باقي محكوميتي في أريحا. وبعد شهور من حر الصيف ولسع القارص في أريحا، استطعت أن التحق بالتوجيهي في مدرستي الأم، ومع من هم أصغر مني بثلاث سنوات، وأنهيت الثانوية العامة بنجاح وبتقدير جيد.

دخلت جامعة النجاح الوطنية بتخصص علم نفس، وصقلت شخصيتي أكثر فأكثر من خلال العمل، والدراسة، والمتاعب، والصعوبات التي واجهتها. في المقابل، أحببت تخصصي بشكل كبير جداً، وساعدني على التواصل مع الآخرين ومع أناس جدد ... تخرجت من الجامعة في أواخر 1999.

عملت مرشداً تربويا في طولكرم في العام 2001، ومارست مهنتي بجدية ومهنية عالية ... تعلمت أشياء جديدة، وربطتها بالتخصص. كان الواقع العملي أوسع وأصعب من الواقع الدراسي في الجامعة، وبقيت في طولكرم حتى نهاية العام 2004.

انتقلت لوائياً إلى مديرية ضواحي القدس لإكمال دراستي العليا (الماجستير) في جامعة القدس تخصص إرشاد نفسي وتربوي ...

وفي السنة الثانية تزوجت من زميلتي في الماجستير، وأضاف هذا عندي شعوراً بالراحة والأمن الاجتماعي والنفسي أكثر، لدرجة أن علاماتي في السنة ارتفعت كثيراً، وحصلت على المرتبة الأولى على الدفعة العام 2007.

في فترة الماجستير، تفتح الأفق المهني أمامي، وعملت في أكثر من مؤسسة تعنى بالعمل الإرشادي، وحققت تقدماً كبيراً على مستوى التطوير المهني ومساعدة الآخرين من خلال الفنون التعبيرية التي تعلمتها على يد الدكتورة «جوليا».

ذهبت باتجاه الإرشاد والعلاج من خلال استخدام الفنون التعبيرية (الدراما، والرقص، والغناء، والرسم، والخيال، والقصة) وهذا ساعدني كثيراً في تطوير ذاتي ... أحببت العمل في هذا البرنامج.

اليوم، أتمنى أن أحقق ذاتي أكثر، من خلال إكمال الدكتوراه في العلاج النفسي باستخدام الفن التعبيري. أنا راض عن نفسي كثيراً ... وأحب أولادي وأفراد عائلتي جميعاً، وأشعر بأن أمي فخورة بي.

أريد أن أصبح ممثلاً تعبيرياً ... لأعبّر عما يجول بخاطري وبخاطر الآخرين الذين لا يستطيعون التعبير عنه ... .

اليوم، أنا أكثر حاجة لربط الدراما مع الواقع الاجتماعي والتعليمي والتطور التكنولوجي الذي نعيشه. أحب التمثيل والرسم، وأريد أن تتوفر في المدرسة غرفة مجهزة بأدوات الفن التعبيري وأن يتم في المستقبل إنشاء مركز متخصص بالفن التعبيري والإرشاد النفسي.

ذكور مسقط الثانوية/العيزرية

جانب من مشاركة المعلم محمد مرعي في مساق عباءة الخبير.